تأثير المعارف البابلية
في الفكر الديني اليهودي
– التلمود انموذجا –

ا.م.د. عباس سليم زيدان
جامعة واسط – كلية الاعلام

المقدمة:

انّ اختراع العراقيين القدامى للكتابة يعد من أكبر الإنجازات التي قدمت للبشرية جمعاء وأكبرها ، وكان لاختراعها الفضل الأكبر في تدوين ما يدور من أفكار في أذهان الناس في تلك العصور ولاسيما ما يتعلق بالجانب الديني الذي كان يتداول شفاهياً بين عامة الناس ، فاللغة إلى جانب أنها وسيلة من وسائل الاتصال الحضارية والضرورة الحياتية فقد كانت السبب في رقي الإنسان وسمّوه على سائر الكائنات على الأرض ، وكان احتياج اللغات إلى بعضها أمراً طبيعياً ، فكان لابد لكل أمة ، إذا كانت تريد معرفة أسباب نهوض الأمم الأخرى في علم أو أدب أو فن أو دين أو نظام اجتماعي واقتصادي متطور لتلحق بركب تلك الدولة ، من الاطلاع على ذلك الرقي عن طريق معرفة لغة تلك الأمة. تشير المعلومات التاريخية المهمة عن بلاد وادي الرافدين وبحكم المخلفات الحضارية الى ان اليهود اخذوا الكثير من المعارف العراقية وخصوصا في حقل الأساطير والقصص وضمنوها في توراتهم منذ بدء الخليقة ، فلم تكن التوراة مكتوبة لدى اليهود في بابل ولم تكن موجودة لديهم في أيام السبي البابلي، فأصبح من البديهي اثر البابليين على الديانة اليهودية. تكمن أهمية مصادر الفكر اليهودي، خاصة النصوص المقدسة لليهودية بتجاوزها للمغزى الديني لها بكثير؛ إذ إن ما تحويه هذه المصادر في طياتها لا يقتصر على تعاليم الدين اليهودي فحسب، بل يشمل كذلك التراث التاريخي والثقافي والاجتماعي لليهود ولعل أهم مصادر الفكر اليهودي.

أولاً: الكتاب المقدس (العهد القديم)

يعرف الكتاب المقدس (العهد القديم) بالعبرية بال–"تاناخ" والذي يشمل: الأسفار الخمسة (توراة)، الأنبياء (نفيئيم) والكتب المدوّنة (كتوفيم)، ويشمل أيضاً تسعة عشر سفراً، معظمها بالعبرية، ومع ذلك فإن أجزاء كبيرة من الـ"ختوفيم" وردت بالآرامية، وقد تم تأليفها خلال مئات السنين – منذ الفترة التي سبقت دخول بني إسرائيل لأرض فلسطين (القرن الـ١٣ ق. م)، حتى بعد عودة اليهود من بابل إلى مملكة يهودا وأورشليم (القرن الـ٦ ق. م). تشمل

أسفار الأنبياء نصوصاً تاريخية تمتد على طول الفترة الواقعة بين توطّن الشعب اليهودي في أرض فلسطين وطرده إلى بابل، كما تشمل العظات الأخلاقية والدينية للأنبياء (بينهم أرميا، وأشعيا وحزقيال)، وتنطوي هذه النصوص على قطع شعرية دينية وعادية، وقطع من أدب الحكمة والكتابات التاريخية . الـ"تاناخ" هو مجموعة القوانين اليهودية، التي تمت بلورتها بصورتها النهائية في الفترة الواقعة بين السبي إلى بابل والقرن الأول الميلادي، ولم يشمل الحاخامات الذين شاركوا في تحديد المضمون النهائي للكتاب المقدس بعض النصوص التي تُعرف بالكتب الخارجية، اي غير المُدرجة في الكتاب المقدس (apocrypha) ، إذ لم يعتبروها ذات إيحاء الهي. يستعمل الناسخون لنصوص الكتاب المقدس التي تستعمل لأغراض الطقوس الدينية في الكُنُس – أدوات عتيقة (الرقّ والريشة)، ويحرصون أشد الحرص على عدم إدخال أي تغيير على النصوص، وتعد مخطوطات البحر الميت أقدم المخطوطات المعروفة، حيث كُتبت قبل العصر الميلادي بقليل، وهي مطابقة تماما للنصوص التي يتم نسخها في هذه الأيام. وقد حظي الكتاب المقدس بأكبر عدد من الترجمات في العالم، فقد تُرجم بأكمله إلى أكثر من مائتي لغة، في حين تُرجمت أسفار معينة منه إلى حوالي ألف لغة لتقرأها شعوب مختلفة. وكانت أول ترجمة للكتاب المقدس "الترجمة السبعينية" في بداية القرن الثالث ق.م.، وهي ترجمة إلى اليونانية قام بها سبعٌ وعشرون عالماً يهودياً في سبعٍ وعشرين يوماً، ليستخدمها اليهود في مصر القديمة. وقد نشأ في القرن التاسع عشر فرع أكاديمي جديد يُدعى الدراسة النقدية للكتاب المقدس، ينتهج نهجاً تاريخياً نقدياً، وأنتج الدارسون في هذا المجال كمية هائلة من الدراسات والتحليلات.

كان في القرن الأول قبل الميلاد تقريباً ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة على الأقل وكان هناك اتجاه إلى تدوين نص واحد، لكن ذلك لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد. ومع هذا فإن أقدم نص عبري يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد، وثمة نصان باليونانية يرجعان إلى القرن الرابع الميلادي، أحدهما بمكتبة الفاتيكان، والآخر بالمتحف البريطاني، أما المدونات الآرامية والسريانية فغير كاملة[١].

وترجع الموسوعة اليهودية كتابة العهد القديم إلى فترة تمتد من القرن الحادي عشر ق.م. وحتى القرن الثالث ق.م.، حيث تم الانتهاء من جمع معظمه عام ٢٥٠ ق.م.، وإن ظل هناك جدالاً حول ملاءمة وضع بعض الأسفار (كنشيد الإنشاد) في (العهد القديم)، حتى عام ٩٠م، حين عُقد مجمع (يامينا) الذي اعترف بعد مناقشات مستفيضة بمعظم الأسفار المعروفة اليوم[٢].

ثانياً: التلمود

"التلمود" كلمة مشتقة من الجذر العبري "لامد" يعني الدراسة والتعلم كما في عبارة "تلمود توراه"، أي "دراسة الشريعة"، ويعود كل من كلمة "تلمود" العبرية وكلمة "تلميذ" العربية إلى أصل سامي واحد(٣). ولفظ التلمود يعني التعليم أو الشريعة الشفوية، ولم يكن "الشُّرّاح" يطلقون هذا اللفظ على المشناه، أما الآن فأصبح التلمود يعني المشناه والجماراه معاً، والمشناه أي المتن في التلمود البابلي هي بعينها مشناه التلمود الفلسطيني، ولا يختلف التلمودان إلا في الجماراه أو الشروح، فهي في التلمود البابلي ثلاثة أمثالها في التلمود الفلسطيني(٤). والتلمود من أهم الكتب الدينية عند اليهود، وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة)، ويخلع التلمود القداسة على نفسه باعتبار أن كلمات علماء التلمود كان يوحي بها الروح القدس نفسه (روح هقودش) باعتبار أن الشريعة الشفوية مساوية في المنزلة للشريعة المكتوبة، والتلمود مصنَّف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية، وسجل للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية الفقهية اليهودية حول المواضيع القانونية (هالاخاه) والوعظية (أجاده). وقد أصبح التلمود مرادفاً للتعليم القائم على أساس الشريعة الشفوية (السماعية)(٥).

مكانة التلمود عند اليهود:

"يعد التلمود المصدر الثاني للتشريع اليهودي، والمصدر الأول للسياسة الصهيونية وللتلمود أهمية كبيرة فلا إيمان لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود، على أساس أن هذا الكتاب يحوي أهم التعاليم التي يحترمها اليهود، أو يجدون فيها خلاصهم(٦). وقد تعلقت الجماعات اليهودية في إيمانها بتعاليم التلمود وتقديرها المفرط للقائمين على أمره، ولقد عمل الحاخامات من اليهود على إذكاء روح الحماسة والتعلق العاطفي والديني عند الجماعات اليهودية، يقول أحد الحاخامات: اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء. وقد قال أحد الحاخامات أيضاً: "إن من يقرأ التوراة بدون المشناه والجماراه فليس له إله"(٧).

قال موسى بن ميمون *(١١٣٥-١٢٠٤م): من لا يؤمن بإلهية التلمود فلا نصيب له في الجنة""ومن الأخبار التي احتواها التلمود من قداسة وعظمة الحاخامات اليهود "إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع الاختلاف يوماً بين الله وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الجدل تقررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات الربيين واضطر الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور يقول الرابي مناحم وهو من كبار الحاخامات: "إن الله (سبحانه ونزه عن ذلك) يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجه مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء وإنه يجب الالتفات إلى أقوال الحاخامات أكثر من الالتفات إلى شريعة موسى (٨).

مصدرية التلمود لليهودية الأرثوذكسية.:

مصطلح (أرثوذكسي) مصطلح مسيحي يعني "الاعتقاد الصحيح"، وقد استخدم لأول مرة في إحدى المجلات الألمانية عام ١٧٩٥، للإشارة إلى اليهود المتمسكين بالشريعة، وقد تزعم الحركة اليهودية الحاخام سمسون هيرش[٩]. "يعترف اليهود الأرثوذكس بالتلمود كما هو، ويتقيدون بنصوصه باعتبارها منزّلة"، يقول الكاتب محمد صبري: "ولعلنا لا ننسى القضية التي أثيرت منذ فترة وجيزة في إسرائيل، عندما رفض الحاخام الأكبر وهو أرثوذكسي اعتبار سيدة أمريكية اعتنقت الدين اليهودي يهودية، وأعلن أن أي شخص لا يمكن أن يكون يهودياً إن لم يكن ابناً لأب وأم يهوديين، وهو نفس ما ينص عليه التلمود"[١٠]

فاليهودية الأرثوذكسية تؤمن بالتلمود إيمان الفريسين به، وأن التلمود قد منع التوراة من التجمد؛ بأن أضاف إليها عناصر جديدة وعادات شعبية، وقوانين مستحدثة ...، أي أن اليهود استطاعوا تطوير قانونهم ليلائم الظروف الجديدة[١١]. ويقول الكاتب اليهودي د.إسرائيل شاحاك*: "فليكن مفهوماً على هذا الأساس، أن مصدر التشريع لكل ممارسات اليهودية الكلاسيكية (والأرثوذكسية حالياً) والأساس المقرر لبنيتها التشريعية هو التلمود[١٢]".

ويقول الكاتب محمد عبد الله الشرقاوي: "تجمع المصادر على أن أحبار فرقة الفريسيين اليهودية هم الذين وضعوا التلمود، وفرقة الفريسيين من أهم فرق اليهود وأخطرها وأكثر عدداً في ماضي تاريخهم، وحاضره ...، وقد اعتبرت اليهودية الأرثوذكسية وريثة الفريسيين وحاملة لوائهم اليوم، وهذه الأرثوذكسية تؤمن بالتلمود إيمان الفريسيين به"[١٣].

أنواع التلمود:

التلمود بمعناه الواسع والشامل يدل على الأعمال والآثار التي أنتجتها المدارس الدينية اليهودية في فلسطين وبابل خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الخامس للميلاد –أي أثناء العصر المعروف بعصر الأمورائيم (المتكلمون أو المتجادلون)[١٤]. وينبغي أن نذكر أن الجماراه – وهي الجزء التفسيري للتلمود – قد وضعتها مدرستان يهوديتان[١٥]. وبناءً على هذه الجماراه سمي التلمود باسمين: الأول التلمود الفلسطيني، والثاني التلمود البابلي:

١- **التلمود الفلسطيني:** وينسبه اليهود خطأ إلى أورشليم (القدس) فيقولون "الأورشليمي" مع أن القدس خلت من المدارس الدينية بعد هدم الهيكل الثاني، وانتقل الحاخامات إلى إنشاء مدارسهم في يفنة وصفورية وطبرية، كما أطلق يهود العراق على التلمود الفلسطيني اسم "تلمود أرض إسرائيل"، وأطلقوا عليه أحياناً اسم "تلمود أهل الغرب" نظراً لوقوع فلسطين إلى الغرب من العراق[١٦]. ولقد ألف التلمود الفلسطيني باللهجة الآرامية الفلسطينية

الحديثة، واستغرق تأليفهم هذه الشروح فترة طويلة جداً تمتد من القرن الثاني إلى الخامس بعد الميلاد[١٧]".

٢- **التلمود البابلي:** وهو نتاج الحلقات التلمودية (أكاديمية – يشيفا) في العراق (بابل)، وأشهرها سوراً [١٨] وقد أُلف بإحدى اللهجات الآرامية، وشرعوا فيها منذ أوائل القرن الرابع بعد الميلاد، ولم يفرغوا منها إلا في القرن السادس الميلادي، ولم تجمع جماراه بابل من قبل شخص واحد أو في زمن واحد، ولكن أنجزها حاخامون كثيرون[١٩].

وكلا التلمودين مكوّن من المشناه والجماراه. والمشناه في كل منهما واحد لا اختلاف بينهما، أما الجماراه فاثنتان: إحداهما وضعت في فلسطين، والأخرى في العراق. ولما كانت الجماراه البابلية أكمل وأشمل من الجماراه الفلسطينية؛ فإن التلمود البابلي هو أكثر تداولاً، وهو الكتاب القياسي عند اليهود، لذا فحين يُستخدم لفظ "التلمود" بمفرده، محلّى بأداة التعريف، فإن المقصود به هو التلمود البابلي دون سواه، وذلك على أساس الميزة والأفضلية والتفوق، ويبلغ حجم التلمود البابلي اربعة أضعاف حجم التلمود الفلسطيني[٢٠]".

اليهود في بابل:

تؤكد معظم كتب التاريخ أن أول وجود لليهود في أرض العراق يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد عندما نقل الآشوريون إلى منطقة آشور القديمة اليهود الموجودين في أرض فلسطين القديمة في ثلاث حملات متتالية على إسرائيل ويهوذا ما يربو على أربعمائة ألف نسمة. ففي الحملة الأولى استولى الملك تجلات بلتتصر الثالث على كل مدن إسرائيل عدا (السامرة) ونقل جميع سكان هذه المدن إلى آشور وكان عدد الذين نقلهم تجلات بلنتصر الثالث من جميع مدن إسرائيل حوالي مائتي ألف نسمة. ثم ينبئنا سرجون الثاني أنه نقل ما تبقى من يهود إسرائيل في مدينة السامرة التي احتلها في الحملة الثانية حوالي (٢٧٠ الى٢٩٠) نسمة، كما أن سنحاريب يذكر في مدوناته أنه نقل من أسرى يهوذا (٢٠٠.١٥٠) نسمة إلى المنطقة نفسها (أي. آشور) فمجموع هؤلاء يبلغ اكثر من أربعمائة ألف نسمة بعد سقوط الدولة الآشورية ومجيء الدولة البابلية(١٨٩٥ ق.م–٥٣٩ ق.م)، حدث السبي البابلي المشهور لليهود على يد الملك نبوخذ نصر الذي حكم البلاد ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ وسنة ٥٦٢ ق.م. وجاء السبي البابلي في حملتين: **الأولى** في سنة ٥٩٧ ق.م ، وحصلت عندما تمرد الملك (يهوياقيم) ملك يهوذا (٥٩٧ – ٦٠٨ ق.م) على (نبوخذ نصر)، وذلك بعد أن أظهر طاعته وخضوعه إلى الملك الكلداني، فشن نبوخذ نصر، سنة٥٩٧ق.م حملة على (يهوياقيم) وحاصر أورشليم إلا أن (يهوياقيم) توفي أثناء هذا الحصار فخلفه ابنه (يهوياكين) الذي اضطر إلى الاستسلام فسبى "نبوخذ نصر" كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة يهوذا وعشرة آلاف صبي وجميع

الصناع، لم يبق أحداً إلا مساكين شعب الأرض، كما سبى (يهوياكين) وأمه ونساءه ورجاله من أورشليم إلى بابل. وأخرج (نبوخذ نصر) جميع خزائن (بيت الرب) وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب، ثم عين "صدقيا" عم "يهوياكين" الذي اكد ولاءه للملك الفاتح خلفاً ليهوياكين.

والثانية في ٥٨٦ ق.م أثر تمرد صدقيا إذ دخل في حوالي سنة٥٨٨ ق.م في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من (ملك مصر) الذي كان يطمح أن يستعيد سيطرة مصر على سورية فغضب نبوخذ نصرغضباً شديداً، وجاء في هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية وأرسل الملك "نبوخذ نصر" جيشه لحصار أورشليم إلا أن دخول ملك مصر إلى فلسطين اضطر البابليين إلى رفع الحصار لمحاربته، فظن اليهود أن النصر بات حليفهم لكن البابليين استطاعوا صد المصريين وإرجاعهم على أعقابهم ثم أعادوا الحصار على أورشليم في الحال، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز ٥٨٦ ق.م، أما صدقيا فهرب هو وأفراد عائلته، ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه إلى(ربلة) حيث مقر ومعسكر الملك نبوخذ نصر، وهناك ذبح أولاده أمام عينه، ثم فقئت عيناه وأخذ مكبلاً مع الأسرى إلى بابل[٢١].

تشير المصادر إلى أن اليهود في بابل أصبحوا في غضون فترة وجيزة من أغنياء أهل بابل، فبعضهم امتلك الأراضي الزراعية والبعض الآخر كان يزرع بالفعل على الأراضي التي أقطعت له، وقد حفروا شبكة من جداول الري والقنوات لإيصال المياه السيحية إلى مزارعهم، وأنشئوا الحقول والبساتين ووجهوا عنايتهم لوقايتها من الغرق، فأقاموا السدود ونظموا أعمال الري على أحسن وجه، وقد اعتنوا عناية خاصة بتطهير الجداول والمبازل من الراسبات الغرينية، بحيث تحولت هذه المنطقة إلى حقول مثمرة، وكان يعمل بعضهم في حقل التجارة.

احتل كورش بلاد بابل (٥٣٨ – ٥٣٩ ق.م) واستمر في مسيره حتى احتل سوريا وفلسطين ومن ضمنها أورشليم، وسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر الرجوع إلى فلسطين، وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان قد سلبها من نبوخذ نصر، وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك، فعاد فريق منهم بقيادة (زوربابيل) بن شلائيل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير[٢٢]

اليهود في بابل في زمن الإغريق (٣٣١-١٣٩ق.م):

يبدأ هذا العصر في بداية حملة الإسكندر الكبير (٣٥٦-٣٢٣ق.م) على بلاد الشرق سنة ٣٣٤ق.م، فكان الإسكندر يرمي من حملته هذه تأسيس إمبراطورية واسعة تضم

الغرب والشرق بلا حدود تفصلها، تخضع سياسياً واقتصادياً وثقافياً للنفوذ الإغريقي، وذلك بتأسيس مستوطنات إغريقية في مختلف أنحاء هذه الإمبراطورية، وإنشاء قواعد عسكرية على طول خطوط المواصلات مع إقامة مراكز ثقافية تتولى نشر الثقافة اليونانية بما في ذلك اللغة اليونانية، وقد قام الإسكندر بذلك فعلاً بعد احتلاله للشرق، فأسّس سبعين مدينة يونانية جديدة بأسماء يونانية، ومع أن حلمه لم يتحقق بالشكل الذي أراد؛ لأنه لم يطل بقاؤه فيها، فقد سلك خلفاؤه الطريق نفسه لتطبيق منهجه في نشر الثقافة اليونانية، والدليل على رسوخها أن رسالة المسيح أُذيعت بعد ثلاثة قرون باللغة اليونانية على العالم المتمدن، ولم يستثن من هذا النفوذ الشعب اليهودي ولغته، وكانت حصة يهود فلسطين كبيرة من هذه الحركة، وأما حصة يهود بابل وبين النهرين فكانت ضئيلة وقلَّ من اهتمَّ بدرسها والتوسع فيها [٢٣]

بدايات الفكر الديني اليهودي واثر المعارف البابلية في تكوينه:

يقول الدكتور خزعل الماجدي في محاضرة أقامها اتحاد الجمعيات الديمقراطية العراقية والفيدرالية المندائية في هولندا بالتعاون مع النادي المندائي الثقافي في لاهاي[٢٤]:

ان التكوين في بداية سفر التكوين التوراتي هي مادة رافدينية عبر مفردات كثيرة منها جنة عدن، ادم ، حواء، شنعار ، النمرود ، برج بابل ، أسطورة الطوفان ، نوح وأبناؤه وسلالته ، إبراهيم الخليل ورحلته من أور إلى حران . ورأى أن كل هذه المفردات ، بغض النظر عن حدوثها من عدمه ، هي مفردات عراقية قديمة تدل على أن مسرح الخليقة والعمران في مستهل التوراة من أصل رافديني وهو أمر أفاض في بحثه العلماء وأصبح اليوم بديهية من البديهيات. ويرى الدكتور الماجدي: ان تأسس الدين اليهودي على حقيقته كان في بابل ، فقد كان في بلاد الشام شكلاً من أشكال الديانة الكنعانية لكنه في بابل تحول شيئاً فشيئاً الى دين توحيدي هو الدين اليهودي لأن أهله لم يعودوا يترددون على معبد أرضي لهم فقرروا أن يكون ربهم في السماء الى الأبد ولا اله سواه ، وكان هذا التجريد لديني متناغماً مع غربتهم وعدم وجود ما يجعلهم يشعرون بتملكهم شيئاً على الأرض آنذاك . من جانب آخر نشأت في وادي الرافدين ثلاث مدارس دينية يهودية كبرى كان لها أكبر الأثر في التاريخ اليهودي وهي (سورا ، نهر دعة أو نهراديا ،بمباديتا) وتقع كلها على الفرات بين الفلوجة وبابل ، وقد بدأت عملها الأول بوضع الشروح الأولى لأسفار التوراة وهي نواة ما سيكون فيما بعد بال (مدراش) الذي استغرق اكتماله زمنا طويلاً. ومع مجيئ الأسكندر المقدوني الى العراق وظهور الهيلينية ظهر أمام الدين اليهودي تحدي الثقافة الهيلنستية ، وخصوصاً في فلسطين، لكن هذا خدمهم من ناحية أخرى عندما طلب بطليموس الثاني من كتبتهم وحكمائهم أن يترجموا أسفار كتابهم المقدس (التناخ) عن الأصل الآرامي / العبري لهذه الأسفار وبذلك ظهرت (الترجمة السبعونية) التي نشرت دينهم وعرفت به في أصقاع العالم الغربي

والهيلنستي ، وفي العصر الهيلنستي ظهر التقويم اليهودي الجديد على أساس التقويم البابلي (باستعمالهم الشهر الكبيس كل ١٩ عاماً) ، وفي هذه المرحلة نشأت السنهدرين (المحكمة العليا) وهي أعلى سلطة تشريعية وقضائية عندهم وكانت تحاكم كبار موظفيهم وتفتش عن من يدّعي شخصية مسيحهم المنتظر وهذه المحكمة هي التي حاكمت السيد المسيح (عيسى) وقالت بأنه يدعي بأنه ملك اليهود والماشيح اليهودي المنتظر وسلمته الى السلطات الرومانية فصلبته. وفي العصر البارثي آوت بابل حاخامات اليهود الفلسطينيين الفارين من بطش السلطات الرومانية خصوصاً بعد تدمير أورشليم في ٧٠ م وقتل اليهود المتمردين .وفي هذه الفترة تأسست مؤسسة جيروسيا (مجلس الشيوخ) وأدارت الشؤون الداخلية لليهود.

المعارف البابلية واثرها في التلمود:

في بداية العصر الساساني(٢٢٦-٦٥١م) تهيئت الفرصة ليهود العراق لكتابة التلمود، وهو الكتاب المقدس الثاني عندهم ، في المدارس اليهودية الآنفة الذكر ، فبعد أن قام الحاخام اليهودي العراقي في أورشليم(هيليل) بكتابة أولية لكتاب المشنا الذي هو نواة التلمود بدأت مرحلة الأمورايم في بابل حيث كتب التلمود البابلي باللغة الارامية البابلية *على مدى ٣٠٠ سنة (٢٠٠-٥٠٠)م وهو أربعة أضعاف التلمود الأوشليمي ، يقول د.خزعل الماجدي[٢٥]: "في بابل شعروا(أي اليهود) انهم بحاجة لكتابة شرائعهم الدينية لكي ينظموا بها حياتهم اليومية فقد كانت متداولة شفاهياً ، وجاء دور عزرا الكاتب الذي دوّن هذه الشريعة ، ثم دون غيرها ، وظهرت براعتهم في تعلم الخط الارامي الذي كان سائداً في بابل فكتبوا به أول أسفارهم ثم حاولوا ابتكار خط خاص بهم فاشتقوا من الخط الآرامي الآشوري المربع الكتابة العبرية (العبرية لها علاقة بالمربع وليست تسمية إثنية كما يقول الماجدي) وعرفوا بها تدريجياً. وقد سمح للأسرى باصطحاب عوائلهم وممتلكاتهم ومواشيهم وتعلموا صناعة الحرف والحكمة والزراعة والري وأستمر أنبياؤهم بالظهور والتنبؤ والوعظ في بابل وحصلوا على مناصب دينية وحكومية رفيعة في الدولة البابلية الكلدانية مثل (حزقيال ، دانيال ، عزرا ، نحميا ، حجّي ، زكريا ، حبقوق.) وأعتبر الماجدي أن عَزرا الكاتب (ومرقده باسم العزير في العمارة في العراق) هو المؤسس الحقيقي للديانة اليهودية وهو الذي ولد في بابل وتعلم لغتها ودرس تراثها ووضع الأسفار التناخية بلغة آرامية بابلية ، ورغم أن الملك الفارسي سمح له بالعودة إلى فلسطين مع النبي نحميا وبصحبة ما يقرب من خمسة الاف من الاسرى لكنه حين ذهب الى هناك وألقى سفر الشريعة الذي كتبه هو على مسامع اليهود في أورشليم وعلّمهم أصول ديانتهم الجديدة عاد الى بابل وترك هناك نحميا نبياً وزعيماً عليهم ، وعندما عاد أسس الكنيست (المجمع الكبير) الذي قام خلال قرن ونصف بتدوين بقية الأسفار مضافة لها أسفار أنبياؤهم في بابل وبذلك يكون عزرا والكتبة (السفروييم) والكنيست هم من

كتب أسفار التوراة لتكون معروفة للشعب اليهودي في بابل وفي أورشليم ، خصوصاً أن من عاد من اليهود إلى فلسطين كان قريب العدد ممن بقي في بابل .

لقد بات واضحاً من الوجهة التاريخية والعلمية أن اليهود قد كتبوا تاريخهم ونصوصهم الشرعية والتشريعية المقدسة في بابل إبان الأسر البابلي بعد السبي الثاني الذي تم على يد الملك البابلي نبوخذ نصر في القرن السادس قبل الميلاد، ولم يكتب هذا التاريخ إلا وفقاً لنوازعهم السياسية والدينية وأهوائهم العاطفية تجاه اليهود عامة، كما أن معظم ما ورد في أسفار العهد القديم من خرافات هي أقرب للحكاية الشعبية، وأن القصص والأساطير تعزى بالأصل لمدونات مكتوبة تعود لحضارات وثقافات سامية كنعانية وبابلية ومصرية وغيرها من حضارات الشعوب القديمة، وهذا ما يؤكد أن اليهود كأقوام لم تكن لهم حضارة خاصة بهم تدل عليهم وعلى ثقافتهم وتبين هويتهم، بل إن معظم ما جاء في كتابات كهنتهم وما ورد في نصوصهم المقدسة لم تكن سوى ملاحم أسطورية وشرائع دينية وضعية وطقوس اعتاد الكنعانيون أو البابليون أو المصريون على ممارستها، وهذا ما وجد في التوراة التي اشتملت في كافة أسفارها على ثقافات متنوعة وشرائع متعددة لهذه الحضارات فكانت تتناقض أحياناً مع بعضها وتتفق أحياناً أخرى.

لقد شكلت حادثة السبي البابلي بحد ذاتها خطاً زمنياً فاصلاً لتاريخين من تاريخ الديانة اليهودية (تاريخ ما قبل السبي، وتاريخ ما بعد السبي)، وكان لها الكثير من الآثار السلبية على بني إسرائيل، فقد عمد كتبة النصوص التوراتية والتلمودية إلى دمج السبي البابلي كحدث تاريخي مع الشرائع الدينية، فصار من المستحيل على اليهودي أن يمتلك القدرة على فصل النص التاريخي عن النص الديني، مما أوجد في ثنايا تفكيره حالات نفسية وعصبية ونشوء عقد نفسانية أهمها عقدة الاضطهاد والعبودية التي قوامها الحقد والعدوانية ونظرات الاحتقار والشعور بالاستعلاء على باقي البشر والتمسك بفكرة شعب الله المختار على أساس نظرية التفوق العرقي التي يفاخر اليهود بجهرها على الملأ دلالة على نقاء هذا الجنس الذي تمتد جذوره آلافاً مؤلفة من السنين[٢٦].

يقول "وليد يوسف عطو في مقال عنوانه"اليهود من البدواة الى التحضر" "في التلمود اصبح التاثير البابلي طاغيا في مجال الطب ، السحر ، العرافة والتنجيم .ومن الطريف ان وثائقهم كانت مكتوبة باللغة الاكدية وبالخط المسماري .وفي الاخير يؤكد الدكتور فالح مهدي ان ابناء تلك الاجيال اليهودية والتي تبلبلت (من بابل) وليس من تشتت لغاتها كما يذهب الى ذلك العهد القديم ،هي من صاغت التلمود البابلي في معابدهم ما بين القرنين الثاني والرابع قبل الميلاد. ولقد كتب التلمود بعدة لهجات ارامية تم مزجها بالعبرية المتاخرة" [٢٧].

قراءة في بعض ما جاء من افكار في التلمود:

ذكرنا فيما تقدم ان الجماعات اليهودية تعلقت في إيمانها بتعاليم التلمود بحيث ان أحد الحاخامات قال أيضاً: "إن من يقرأ التوراة بدون المشناه والجماراه فليس له إله" وقال موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤م): من لا يؤمن بإلهية التلمود فلا نصيب له في الجنة"". ومن الأخبار التي احتواها التلمود من قداسة وعظمة الحاخامات اليهود "إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع الاختلاف يوماً بين الله وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الجدل تقررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات الربيين واضطر الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور يقول الرابي مناحم وهو من كبار الحاخامات: "إن الله (سبحانه ونزه عن ذلك) يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجه مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء وإنه يجب الالتفات إلى أقوال الحاخامات أكثر من الالتفات إلى شريعة موسى. كما يقول كبار الحاخامات "إن التلمود هو الإنجيل اليهودي، وهو يمقت تقاليد العهد الجديد، ويحتقر المسيح، ويفخر بعملية صلبه، والتلمود يعلِّم الحقد على الأجناس الأخرى وازدراءهم، ويوصي بألا يعامَلوا برحمة، بل بالقتل[٢٨] !

فالتلمود يحض أتباعه على الذبح، ذبح الأطفال والشباب خاصة، في عيد "البوريم- المظال" وعيد "كيبور- الفصح حيث يتلذَّذ الأحبار بذبح الشباب لصنع الخبز المقدَّس بنكهته وطعمه جاء في التلمود في باب عيد الفصح (٢٢: ٤٩): إن جاء يوم عيد الغفران فإنه يباح في ذلك اليوم تهشيم رؤوس أبناء "الربي اليعازار قال لتلاميذه"، وهو أن أحد أحبارهم الكبار الأمم الأخرى لقتلهم، فقال التلاميذ: يا مولانا، قل بالأحرى: إنه يباح ذبحهم، فقال: لا؛ لأن ذبحهم سيكلفنا أن يقرأ صلاة معيَّنة[٢٩]!

الخاتمة:

ان التأثير البابلي ومن قبله الاشوري على اليهودية واضح جداً ، ولذلك يمكن ان نصف اليهودية على انها ديانة عراقية لان التأثيرات الكنعانية لم تدخل بها الا في عهد متأخر أي ان اليهود طوروا عقيدتهم واعتمدوا في تطوير عقيدتهم على موروث المنطقة الثقافي بعد أن صبغوه بالصبغة اليهودية، حيث تغيرت الأسماء وحرفت التفاصيل بما يتناغم مع المعتقد اليهودي، ولعل ارتباك المعلومات التي تقدمها المصادر الأصلية لهذه الديانة كالتوراة والتلمود بقسميه البابلي والفلسطيني دليلنا على ذلك.

الاستنتاجات:

١- ان اليهود اخذوا الكثير من المعارف العراقية وخصوصا في حقل الأساطير والقصص وضمنوها في توراتهم منذ بدء الخليقة ، فلم تكن التوراة مكتوبة لدى اليهود في بابل ولم تكن موجودة لديهم في أيام السبي البابلي، فأصبح من البديهي اثر البابليين على الديانة

اليهودية. فالتكوين في بداية سفر التكوين التوراتي هي مادة رافدينية عبر مفردات كثيرة منها جنة عدن،ادم ، حواء، شنعار ، النمرود ، برج بابل ، أسطورة الطوفان ، نوح وأبناؤه وسلالته ، إبراهيم الخليل ورحلته من أور إلى حران .

٢- ان تأسس الدين اليهودي على حقيقته كان في بابل ، فقد كان في بلاد الشام شكلاً من أشكال الديانة الكنعانية لكنه في بابل تحول شيئاً فشيئاً الى دين توحيدي هو الدين اليهودي ويعد عَزرا الكاتب (ومرقده باسم العزير في العمارة في العراق) هو المؤسس الحقيقي للديانة اليهودية وهو الذي ولد في بابل وتعلم لغتها ودرس تراثها ووضع الأسفار التناخية بلغة آرامية بابلية .

٣- ان مصادر الفكر اليهودي، خاصة النصوص المقدسة لليهودية اتسمت بتجاوزها للمغزى الديني لها بكثير؛ إذ إن ما تحويه هذه المصادر في طياتها لا يقتصر على تعاليم الدين اليهودي فحسب، بل يشمل كذلك التراث التاريخي والثقافي والاجتماعي لليهود ولعل أهم مصادر الفكر اليهودي.

التوصيات

١-على المراكز البحثية المختصة بالدراسات العبرية تسليط الضوء على اهمية التاثير العراقي على الديانة اليهودية لفضح المقولة التي يشيعها اليهود بانهم شعب الله المختار .

٢-استحداث أقسام ومعاهد دراسات جديدة ومراكز الدراسات متخصصة في الشؤون الإسرائيلية واللغة العبرية ونقد المجهودات اليهودية بشكل عام والإسرائيلية بشكل خاص وما يتعلق بها من دراسات وعلوم مختلفة سواء اجتماعية أو تاريخية ودينية، وذلك بالتوازي مع تخصيص أقسام منفصلة داخل الوزارات السيادية ذات الطابع الأمني والاستراتجي مثل وزارات الدفاع والداخلية والخارجية والتربية والتعليم العالي والثقافة تكون مهمتها متابعة الدراسات الإسرائيلية ونقدها والرد عليها.

٣- توفير الإمكانات اللازمة لإعداد مشاريع ثقافية وأكاديمية ضخمة لحصر ووصف الدراسات الإسرائيلية المليئة بالشبهات والأخطاء ، فلا ضير من إعداد موسوعة عربية إسلامية تبين اصل هذه الديانة.

هوامش البحث:

(١) كامل سعفان، اليهود تاريخاً وعقيدة، (القاهرة: دارالاعتصام)، ١٩٨٨م، ص١٨١

(٢)Encyclopaedia Judaica, Jerusalem, 1972, Volume 2, P. 307 .

(٣)عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (القاهرة: دار الشروق)، ١٩٩٩، ج٥، ص١٢٥

(٤) إبراهيم خليل أحمد (سابقاً: القس إبراهيم خليل فليبس)، إسرائيل والتلمود "دراسة تحليلية"، (دار المنار)، ص٣١.

(٥)عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٥.

(٦) د. كامل سعفان، اليهود تاريخاً وعقيدة، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٧) صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، (دار الجليل: بيروت)، ط٣، ١٩٩١م، ج٢، ص١١١،

*موسى بن عبد الله بن ميمون القرطبي، وُلد في قرطبة لأسرة من القضاة والعلماء اليهود. وعُرف أيضاً باسم "رمبم" وهي الحروف الأولى من اسمه. كان من الأقوال المأثورة بين اليهود عنه: "لم يظهر رجل كموسى من أيام موسى إلى موسى"، من أهم كتبه كتاب السراج وهو تفسير دقيق للمشناه، ومن كتبه الأخرى كتاب مشنيه توراة أي "تثنية التوراة" وكتاب دلالة الحائرين. ".تقي الدين المقريزي، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، مرجع سابق، ص٢٨.

(٨) نفس المصدر السابق، ص١١١-١١٢.

(٩)عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج٥، ص٣٨٤).

(١٠) د. محمد صبري، التلمود شريعة بني إسرائيل – حقائق ووقائع، (بدون)، ص١١.

(١١) د. محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، (بيروت: دار عمران)، (القاهرة: مكتبة الزهراء)، ط١، ١٩٩٣م، ص٣٣-٣٤

*الكاتب اليهودي إسرائيل شاحاك، أستاذ في الكيمياء العضوية (سابقاً)، من النشيطين في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان، باحث في التاريخ اليهودي والديانة اليهودية. (انظر: إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية، ترجمة: رضى سلمان، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر)، ط٢، ١٩٩٧م.(الغلاف)

(١٢) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة: حسن خضر، (القاهرة: سينا للنشر)، ط١، ١٩٩٤م، ص٦٢.

(١٣)محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، ص٣٢-٣٣

(١٤) أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، (منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث- بيروت)، سلسلة كتب فلسطينية – ٣١، ١٩٧٠م، ص١١٣-١١٤.

(١٥) محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، ص٢٦

(١٦)عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٥

(١٧)محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، ص٢٦.

(١٨)الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٦.

(١٩)محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢٠)عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٥-١٢٦.

(٢١)حمد سوسة – ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق)-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-٢٠٠١. ص٥٧.

(٢٢)(يوسف غنيمة، نزهة (المشتاق) في تاريخ يهود العراق، مكتبة الوراق، لندن، ط١٩٩٧،٢، ص٦١.

(٢٣).(نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق). المرجع السابق (ص:٦٧).

(٢٤) الدكتور خزعل الماجدي (يهود الرافدين : التوراة والتلمود جاء ا من العراق).محاضرة القيت بتاريخ ١٣-٤-٢٠١٢ في هولندا اقامها اتحاد الجمعيات الديمقراطية العراقية والفيدرالية المندائية في هولندا بالتعاون مع النادي المندائي الثقافي في لاهاي .

*وهي ظاهرة في التلمود البابلي وفي وثائق ترقى إلى ما بين القرنين الثاني والسابع للميلاد. ولم تكن هذه اللهجة موحدة، ويبدو اختلاف صيغها حتى في التلمود نفسه وهي من اللغات الارامية **والآراميون** هم أحد الشعوب السامية موطنهم وسط وشمالي سوريا والجزء الشمالي الغربي من بلاد مابين النهرين استعمل الآراميون لغتهم الخاصة وهي اللغة الآرمية بلهجاتها المتعددة وقد استطاعت هذه المجموعات الآرامية ما بين القرنين الثاني عشر والثامن قبل الميلاد أن تكون دويلات عديدة سيطرت على بلاد واسعة اطلق اسم الاراميين على البلاد التي سكنوها حيث سمين بـ"بلاد ارام "

F. Hommel, The Ancient Hebrew Tradition, New York, E. & J. B. Young & co.; London, Society for promoting Christian knowledge- P 202-203

واللغة الآرامية تنفرد بين جميع شقيقاتها في مجموعة اللغات الساميّة كونها اللغة الساميّة الوحيدة التي لا تزال متداولة وعلى قيد الحياة منذ ٣٠٠٠ سنة دون انقطاع في الاستعمال لا في الكلام ولا في الكتابة. وهذا يجعلها واحدة من أقدم لغات العالم التي لا تزال حية حتى الآن، وبسبب العمر المديد للآرامية فاننا نميّز في حياتها أربع مراحلٍ زمنية، وتتميز كل مرحلة عن التي قبلها وبعدها ببعض الخواص اللغوية التي نشأت فيها.

مراحل اللغة الآرامية:

١-الآرامية القديمة: بدأت هذه المرحلة منذ ظهور الآرامية على مسرح الحياة حيث كانت لغة الآراميين ودولهم الآرامية العديدة المنتشرة في منطقة الهلال الخصيب، واستمرت هذه المرحلة لغاية سقوط الدول الآرامية، أو حوالي ٧٠٠ قبل الميلاد.

٢-الآرامية الرسمية: وتمتد منذ ٧٠٠ قبل الميلاد لغاية حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد.

وتسمى بالرسمية لانها استُعملت كلغة رسمية في ثلاث امبراطوريات وهي على التوالي:

الامبراطورية الاشورية في نهاية حياتها، الامبراطورية البابلية والامبراطورية الاخمينية الفارسية. وتنتهي هذه المرحلة بمجيء اليونان بقيادة اسكندر المكدوني الى المنطقة. وهنا استُعملت الآرامية ليس فقط من قبل أصحابها الآراميين انما استعملتها شعوب أخرى ايضاً لأنها اصبحت لغة عالمية في ميدان السياسة والتجارة والعلاقات، كما انها خرجت من منطقتها التقليدية، ووصلت مع الامبراطوريات المذكورة الى مناطق جديدة تمتد من مصر الى وادي الهندوس.

٣- الآرامية المتوسطة: وتمتد منذ مجيء اليونان للمنطقة حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد لغاية المسيح او لغاية مجي الرومان للمنطقة.

وفي هذه المرحلة انتشرت اليونانية وبدأت تنافس الآرامية وتزاحمها على مكانتها في التدوين في المنطقة الى ان كُتب لها الغلبة.

لكن استمرت الآرامية في الكلام والتخاطب الشفهي في البيت والمجتمع.

وعلى أثر استعمال اليونانية في الادارة والدواوين والتأليف وتقهقهر الآرامية على المستوى الكتابي أخذ يظهر في الآرامية التنوّع اللفظي وتتكرس فيها اللهجات المحلية.

٥-الآرامية الحديثة: وتشمل الفروع الآرامية التي يتكلمها الآن السريان واليهود وغيرهم، ونسميها آرامية

حديثة.–Neo

وتقسم الارامية الحديثة الى:

شرقية (في العراق وايران) ومتوسطة (في جنوب شرق تركيا والجزيرة السورية) وغربية (قرب دمشق).

انظر: دكتور أسعد صوما أسعد باحث متخصص في تاريخ السريان ولغتهم وحضارتهم ستوكهولم/السويد https://aljaras.com-

(٢٥) الدكتور خزعل الماجدي (يهود الرافدين : التوراة والتلمود جاء ا من العراق)–مصدر سابق.

(٢٦) بليافسكي ، اسرار بابل ، ترجمة : توفيق فائق نصار ، دار علاء الدين ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠٦ ، ص٢٠ ، ص٢٤ ، ص٢٥ .

مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي–٢٦١٠–٢٠١٧–اليهود من البداوة الى التحضر وليد يوسف عطو– (٢٧)

http://www.ssrcaw.org

(٢٨) د. سعد المرصفي– الفكر اليهودي، ، بتصرف، ط/ مكتبة المنار الإسلامية، الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م ص ١٢١.

(٢٩)د. حسن ظاظا –أبحاث في الفكر اليهودي، ، ، ط الأولى – دار القلم ودار العلوم، ، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ص ١١٩،١٢٠